# مصير حاسد

محمد فتحي صبري

أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامي
ش.م.م.

# مصير حاسد

من أكثر من مائة عام، وفى إحدى قرى الريف المصرى، كان يوجد رجل يدعى حسين الشركستانى : كان رجلا ثريا، يمتلك مصنعا كبيرا لغزل ونسج القطن، يعمل فيه مئات العمال من أهالى القرية، كما يمتلك إلى جانب ذلك أراض زراعية شاسعة المساحة، والمئات من الحيوانات من الجاموس والأبقار، ولذلك كان أغنى

رجل فى القرية وأعلاهم شأنا، وأشدهم نفوذا ومهابه، لدرجة أنه ما أن يشاهد أهل القرية عربته التى تجرها الجياد تمر من أمامهم، ينتفض الجالس منهم واقفا، وإذا مرت عربته أمام رجل يركب فوق حماره، أو حتى فوق جمل، يترك ركوبته وينزل من فوقها تأدبا ومهابه واحتراما لحسين الشركستانى سيد البلده.

ومما زاد من احترام أهل البلده لحسين الشركستانى ومهابتهم له وأعجابهم به، أنه متى أقبل شهر رمضان المعظم، يدعو الفقراء والمساكين والذين يعتبرون هم أغلب أهل القرية إلى الأفطار بموائد الرحمن، التى يقيمها فى معظم أنحاء القرية، فيقبل عليها معظم أهل القرية إلى جانب العاملين الذين يعملون بمصانعه وأراضيه الزراعية بعددهم الهائل ليتناولوا أفطار رمضان، ويستمر الأقبال على هذه الموائد طوال الشهر .. أما فى الأعياد، فكانت كل أسرة فى القرية من الفقراء وهم معظم أهل القرية على يقين تام بأن لهم نصيبا من لحم العجول والخراف التى يذبحها «حسين الشركستانى»، إلى جانب كساء العيد لأولادهم.. الأمر الذي يجعل أسم «حسين الشركستانى» يتردد دائما على ألسنة الناس.

بيد أنه وبالرغم مما يتمتع به «حسين الشركستانى» بكل هذا الثراء الواسع والنفوذ العريض بين أهل القرية جميعا، لكنه كان رغم كل ذلك لا يطيق أن يسمع بأن أحداً من أهل القرية قد حاذ بإعجابهم، لنجاحه فى أى مجال من المجالات، فإذا حقق أحدهم نجاحا نال أعجاب أهل القرية، يشعر «حسين الشركستانى» بالغيره

والحسد الشديدين من هذا الرجل الناجح، فيحاول بكل جهده وتفكيره أن يحطمه، أو ينحيه عن منصبه الذى نجح فيه..

فلا يهدأ ولا يرتاح له بال، حتى يتأكد من أن هذا الرجل الناجح، قد غادر القرية بلا رجعة، أو تلاشى أعجاب أهل القرية به.. ليكون هو.. «حسين الشركستانى» لاسواه، مناط أعجاب واحترام أهل القرية، والذي لا تتحدث الناس بإعجاب ألا عن شخصه فقط !

.. وكانت الوسائل التى يتبعها «حسين الشركستانى» لإقصاء أى رجل ناجح عن القرية أو صرف نظر أهل القرية عن الأعجاب به فى غاية البساطة، فيلفت نظر الناس إلي أى عيب من عيوب هذا الرجل الناجح، ليضيع بسببه اعجاب الناس به، وبصوره لا تخطر على بال أحدهم أبدا أنه يحاول أظهار عيوب هذا الرجل، بل يبدو لهم وكأنه يحاول مدحه، والعطف عليه.. فإذا وجد مثلا رجلا يتميز بثقافه عريضة، والتى يلتمسها الناس من حديثه الجذاب، فإنه يعلق مبديا رأيه فى هذا الرجل قائلا:

أن حديثه جذاب فعلا. وهو رجل مثقف. ولكن للأسف. فإن كلامه غير عملى.

.. فيعطى ذلك انطباعا لدى أهل القرية عن هذا الرجلالمثقف ذو الحديث الجذاب، بأنه مجرد كلام لا قيمة له.

وإذا طرح أحدهم أفكارا خاصة بمواضيع شتى، نالت اعجاب الجميع، فجعلتهم يمدحون مدى ذكائه ويشيدون برجاحه عقله، وسعه آفاقه ، يغتاظ «حسين

الشركستانى»، ويشعر بغيره شديده، ويتظاهر بأنه يثنى على أفكار الرجل، ويردف قائلا :

صحيح أيها الناس. أن الحلو لا يكتمل، فالأفكار جيده ولكنها ليست أفكاره، فلقد سمعتها من قبل من بعض أصحابى بمدينة القاهرة، فمن المؤكد أنه قد سمعها من أحد رجال المدينة.

.. فلا يصدق أهل القرية بعد ذلك، أن ما يطرحه الرجل من أفكار هى أفكاره هو، فيتلاشى بذلك أعجابهم به.

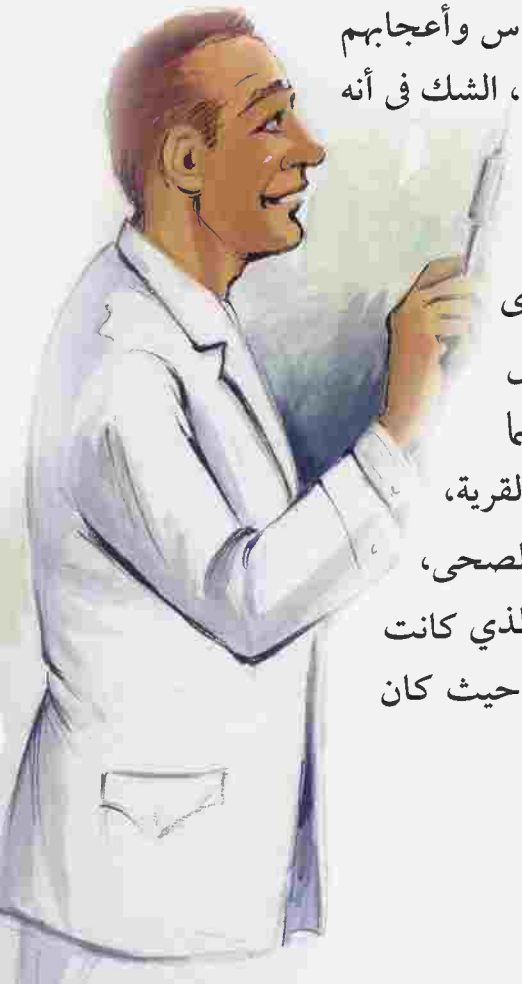

.. وهكذا كان حسين الشركستانى يستطيع أن يصرف أهتمام الناس وأعجابهم بأى رجل يصادف نجاحا بينهم، ولكن لا يتطرق إلى أى أحد منهم، الشك فى أنه يحقد ويغير من نجاح هذا الشخص.

.. حتى جاء يوم، عاد فيه إلى القرية طبيب شاب يدعى «أحمد السداوى» ، وهو ابن أحد المزارعين الفقراء بالقرية، كان يعمل بإحدى مستشفيات مدينة القاهرة، فلما علم أهل القرية بوجوده، أسرع بعض المرضى منهم إلى منزل والده ليكشف عليهم، ويصف لهم الدواء، فلما علم بذلك عمدة القرية، عرض عليه أن يقوم بإنشاء عيادة صغيرة بالقرية، لكى يوفر على كل من يمرض من أهل القرية عناء السفر إلي المركز الصحى، والذى يوجد فى مدينة تبعد عن قريتهم عشرات الأميال، فى الوقت الذي كانت لا توجد فيه حينذاك طرقا ممهده، ولا وسيلة ركوب سريعة، حيث كان

الانتقال بالحمير أو العربات التى تجرها الجياد، فكانت خاصة ببعض الميسورين، ولكن كان عددهم نادرًا.

.. ولذلك نالت الفكرة استحسان أهل القرية جميعا، وجعل كل منهم لا يفكر فى شىء، عدا الكيفية التى يمكن بها تأسيس هذه العيادة، فيتبرع العمدة نفسه بدار له تقع وسط بيوت الفلاحين، ليتخذ منها الطبيب الشاب «أحمدالسداوى» عيادة له.. وراح كل رجل من أهل القرية يسارع بالتبرع، بقطعة من أثاث داره لتأسيس العيادة.. فلم يمض ألا أسبوعين فقط، حتى تم تجهيز عيادة تصلح للكشف، بل ولعمل تركيبات الأدويــة، حيث كان العديد من الأطباء فى هذا الوقت يقومون بتركيب الأدوية بأنفسهم.

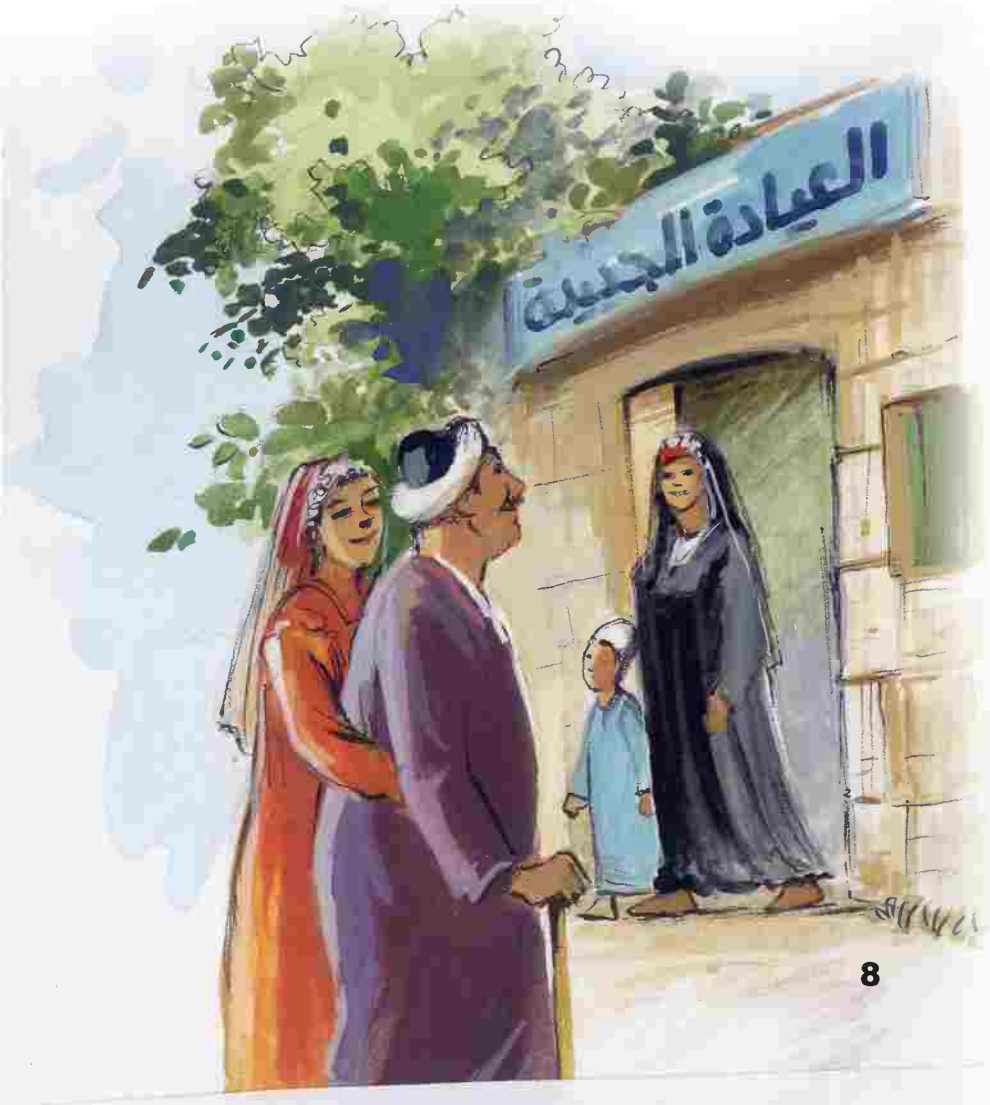

وبدأ الطبيب «أحمد السداوى» يزاول عمله، بعدما قام بتدريب وتجهيز بعض الفلاحين من أهل القرية يجيدون القراءة والكتابة على التمريض، وخصص أحدهم لاستقبال المرضى، وعرضهم على الدكتور )أحمد السداوى(، للكشف طبقا لأولوية الحضور، أو مدى صعوبة حالة المريض.

وأخذ المرضى من أهالي القرية يقبلون على العلاج فى العيادة، والتى لم يجد أحد منهم مشقه فى الوصول إليها، فهى تقع وسط بيوتهم.. فلم تمض ألا فترة وجيزة، حتى أظهر السداوى نبوغا ومهاره غير عاديين، لدرجة أنه لم يقصد عيادته مريضا، ألا وتم شفاؤه على يديه، ومن كان منهم مريضا بمرض مستعصى ألا وقد قام على الأقل بتخفيف آلام المرض.. وبعد مرور شهرين فقط، صار

أهل القرية جميعا لا سيره لهم ألاعن براعة هذا الطبيب الشاب ابن القرية فى العلاج.

.. وكانت أخبار هذا الطبيب النابغ، كلما تصل إلى آذان «حسين الشركستانى» ، يشعر بالغيره والحسد الشديد من هذاالشاب الذى صار فجأه موضع أنظار الجميع، ولا حديث بينهم سوى نجاحه فى شفاء فلان وفلان من أبناء القرية.. حتى خيل لحسين الشركستانى أنه ما جاء هذا الطبيب الشاب إلى القرية، ألا لكى يمحو أسم حسين الشركستانى منها، بل ومن الوجود كله!

فتعاظم همه وبات لا ينم ليله ولا نهاره، وصارت حياته كلها جحيما، حتى أثر ذلك على عمله، فصار ينسى أشياء خاصه بعمله فى غاية الأهمية، كادت أن تؤثر على عمله، فجعل كل همه أن يصل إلي خطه للإطاحه بهذا الطبيب الشاب الناجح أبن أحد الفلاحين المعدمين عن القرية .

.. وظل يجمع شتات أفكاره ويعمل ذهنه لمدة وصلت إلى عدة أسابيع بأكلمها.. حتى تفتق ذهنه أخيرا عن فكره جهنمية.. فما أن توصل إلى هذه الفكرة، حتى اهتز لها جسده كله طربا.

.. كانت الفكرة فى غاية البساطة، ولكنها رغم ذلك فى غاية الخطورة.. وهى أن يطلق شائعة بين أهل القرية بأن الطبيب «أحمد السداوى» قد جاء إلى القرية هاربا من عمله بمدينة القاهرة، لأن الأدوية التى كان يقوم بتركيبها قبل أن يعطيها لمرضاه، أثناء عمله بإحدى المستشفيات بمدينة القاهرة، أسفرت عن إصابة عددا كبيرا منهم، وأن السلطات المصرية تبحث عنه للتحقيق معه.. فهنا.. وعندما تتسرب هذه الشائعة بين أهالى القرية جميعا، سيحجم الجميع عن الذهاب إلي العيادة، وسيأخذ أحمد السداوى مدة طويلة قد تصل إلى سنين.. حتى يثبت لأهل القرية أن هذه مجرد شائعة !!

ولكى لا يجعل «حسين الشركستانى» أحدا من أهل القرية يتطرق إليه الشك فى أن هذه شائعة ، أرسل سرا فى طلب رجل يعيش فى مدينة القاهرة، كان قد تعرف عليه هناك بالمصادفة. ومن خلال متابعته وما سمعه من أخبار هذا الرجل، أدرك أنه رجل بلا ضمير، وهو على استعداد أن يفعل أى شىء.. حتى ولو القتل ، فى مقابل المال.

فما أن أرسل «حسين الشركستانى» أحد رجاله سرا، وعاد وبصحبته هذا الرجل، حتى بادر حسين بمنحه مبلغا كبيرا، ووعده بمثله بعد انتهاء الخطة، ثم قام بإخباره بأن يقول لمن يرافقونه من أهل القرية عند وصوله إلى محطة القطار، للعودة بالقطار إلى القاهرة، أنه أصيب بدهشة شديدة، عندما عرف بأن أحمد السداوى هو الطبيب الذى يعالج أهل القرية.

فلما يسألونه بالطبع عن سبب دهشته هذه، يجيبهم قائلا:

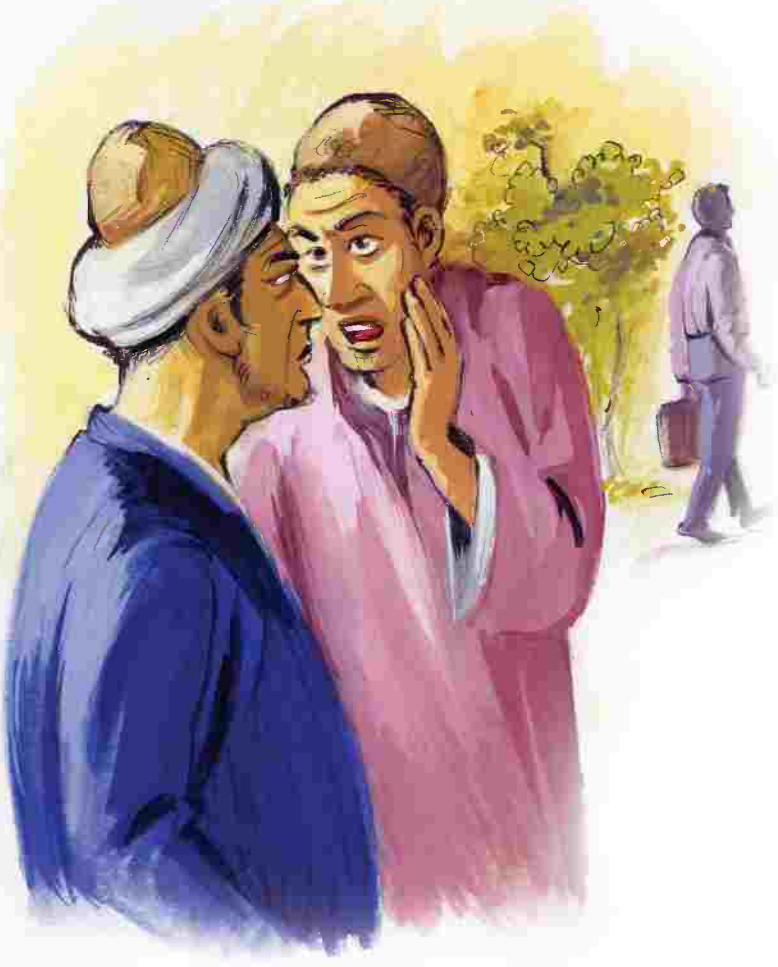

لأنه هارب من التحقيق فيما نسب إليه من خطورة الأدوية التى يقوم بتركيبها، ويعطيها لمرضاه، والتى أدت إلي موت عدد كبير منهم، وإصابة آخرين بأمراض خطيره بعد مدة من تناولها.

.. وقام الرجل بتنفيذ الخطة كما اتفق، وأنهى حديثه بأن طلب منهم أبلاغ «حسين الشركستانى» وأهل القرية بهذا الأمر الخطير، وألا حدثت كارثه.

فما أن سمع «حسين الشركستانى» بهذا الخبر من بعض الرجال، تظاهر بأنه فوجئ مفاجأة شديدة، ولكنه أردف قائلا فى خبث وهو يتظاهر بالعطف على هذا الطبيب الشاب :

لا يوجد أمامنا للأسف سوى إبلاغ أهل القرية جميعا، بخطورة هذا الأمر، ليتجنبوا الإصابة بالأمراض الخطيرة، ولكن يجب أن تبلغوا كل رجل فى القرية على حده وفى سرية تامة، فالله قد أمر بالستر.

.. وهكذا نجحت خطة «حسين الشركستانى»، فقد أثار هذا الخبر دويا بين أهل القرية، فأحجم الجميع عن الذهاب إلى عيادةأحمد السداوى، خشية من الإصابة بالأمراض الخطيرة، وربما يضيع معها العمر !!

.. بيد أنه ، وبينما كان «حسين الشركستانى» يتفقد مصنعه الشاسع الأتساع، لمتابعة مدى صلاحية الآلات الحديثة التى كان قد استوردها من الخارج، لمضاعفة أنتاج مصنعه، فوجئ بإحدى الآلات لا تعمل بكفاءة، بالرغم من محاولات المهندس الذى حضر من القاهرة لتركيبها، وفقا لطريقة التركيب المرفقة بكل الة، فحاول «حسين الشركستانى» معرفة السبب، وكان على دراية بنظام وتركيب كل آلة تدخل مصنعه، ألا أنه وبينما كان يضع يده داخل تجاويف الآلة، انحشرت بداخلها، فحاول أن يخرجها بقوة، فأدى ذلك إلى إصابته بجرح غائر عميق، فأطلق صرخة عالية، وفقد فى أثرها وعيه كاملا، فأثارت صرخته الرعب بين عمال المصنع جميعا، فهرعوا إلى مكانه ، ولما وجدوا الجرح غائرا وينزف بغزاره، صاح أحدهم فى فزع شديد :

يجب أن ننقله إلي عيادة الدكتور أحمد السداوى، فلا يوجد غيره .

ولكن اعترض العديد منهم، وصاح أحدهم فى خوف :

لا . ألم يكفى ما سمعناه عن ضحايا علاجه فى مصر !!

فآثروا أن ينقلونه إلى المركز الصحى، وعلى الفور، أسرع أحدهم إلى عربة «حسين الشركستانى» التى تجرها الجياد، وحملوه فوقها وهو فاقد الوعى تماما .

.. كان الطريق إلى المركز فى غاية المشقة والأنحدار، وقد كادت العربة تنزلق بمن عليها أكثر من مره لوعورة الطريق، ومن كثافة الطمى الذى يغطى الأراضى، بينما كان دم حسين الشركستانى ينزف بغزارة من يده.. فما أن وصلت العربة إلي المركز الصحى، وشاهد كل من فيه الجرح وهو ينزف بغزارة من حسين الشركستانى، سارع الجميع إلى العربة وحملوه إلى داخل المركز، وأعلنت حالة طوارئ به، فقام رئيس المركز بإرسال بعض العاملين لاستدعاء الجراح من منزله، وتجهيز غرفة لإجراء العملية بسرعة.

.. وبعد ثلاث ساعات بأكملها ، كانت العملية قد أجريت، واستطاعوا إنقاذ حسين الشركستانى من موت محقق، ولكن نجم عن ذلك بتر ذراعه.

علق الجراح بعد إجراد الجراحة فى لهجه تأنيب :

كيف تركتوا الدم ينزف من ذراعه طوال هذه المدة؟! فلماذا لم تسارعوا إلى الطبيب الموجود لديكم بالقرية؟

لقد كان يمكنه بسهولة أيقاف النزيف على الفور، فيمنع تلوث الجرح، وما كنا نضطر إلى بتر يده.

فقال أحدهم موضحا :

لأننا سمعنا ياسيدى أن كل من يقوم هذا الطبيب بعلاجه يمرض بمرض خطير أو يموت بعد مدة وجيزة .

فصاح طبيب شاب يعمل بالمركز، وهو لا يصدق :

ماذا تقول أيها الرجل ؟!. من الذى أطلق هذه الشائعة على هذا الطبيب. أنه طبيب ماهر، ولقد كنت زميلا له فى إحدى المستشفيات بمدينة القاهرة.

فما أن سمع الجميع بذلك منه، حتى انتابتهم جميعا حالة من الذهول، وعلق فى أثرها مدير المركز قائلا فى أسى شديد :

من الواضح. أن هناك شخص حاسد قام بهذه الوشايه. وكان ضحيتها للأسف كبير قريتكم حسين الشركستانى الذى بترت ذراعه!!